# على السفود

وللسفود نار لو تلقت بجاحمها حديداً ظن شحما
ويشوى الصخر يتثر كه رماداً فكيف وقدر ميتك فيه لحما ؟

الفيلسوف ...

بقي من أوصاف العقاد الشاعر المراحيضى ( أو صاحب مرحاضه ) وصف لم نعرض له فيما أسلفنا من الكلام عليه وهو وصفه بالفيلسوف مع أن هذا المراحيضى عند نفسه شديد التحقق بهذا الوصف ينزل عن إحدى عينيه لمن يقلعها بمسمار !! ولا ينزل عن كونه فيلسوفا وفليسوفا وفيلسوفا . . .

ومما أضحكنا ذات مرة أن كاتباً من خرقاء الشيوعيين الحمر مر على جلد العقاد

كما تمر القمله هينة لينة إلى أن تغمس خرطومها ، فكتب مقالة فى جريدة البلاغ يصف فلسفة المراحيضى و يقرظها، ثم غمس خرطومه ينبه العقاد إلى مذهب وحدة الوجود . فتناوله العقاد كما يتناول أحد البرابرة قملة من قفاه ! وكان مما كتب قوله : ان الكاتب الذى تنبسط أمامه آراء جميع الفلاسفة (تأمل) ليتصرف فيها (تأملا) لا يحتاج أن يجيئه فى آخر الزمان ( تأملوا ) من يذكره بوحدة الوجود الخ الخ . فالعقاد يتصرف فى جميع فلاسفة الدنيا حتى كأن الله لم يخلقهم إلا ليفكروا له ويقدموا لذهنه الجبار جزية أفكارهم الذليلة الضعيفة و ينادوه من وراء الغيب يامولانا صاحب مرحاضه املأ مراحضك الفكرى . . وما على مصر غير أن يحتلها الانجليز ، فان فى مصر جبار ذهن أحتل دول الأرض كلها وحكمها من فلاسفتها ! ومن شعرائها ! ومن كتابها ! !

لما أنشأ المجلس البلدى فى مدينة ( كذا ) خزاناً للماء أقامه على عمد طوال من الحديد الصلب وملأه بماء النيل لينحدر منه الماء فيصعد فى أنابيب إلى منازل المدينة ، قال الخزان للنيل ما شأنك ويحك ! وما مقامك فى هذا البلد الذى أنا ، أنا فيه ، وحسبك أن أقول أنا لتعرف من أنا . ألا ترى أيها الأعمى أنى أنا النهر الحقيقى وأنى جبار الماء وأن المدينة بناسها وبهائمها وشوارعها لا تشرب ولا تنضح إلا منى فلو أمسكت عنها يوماً أو بعض يوم لهلكت ولعاد الناس من جفاف حلوقهم وتضرم أحشائهم فى مثل حالة نزع الميت واحتضاره ؟ قالوا فما زاد النيل على أن التفت اليه وقال : أيها الخزان أما مع المنازل وأشباه المنازل من قراء الجرائد ! ! ! فتكلم كيف تعطى، وأما معى أنا فقل ويلك من أين تأخذ ؟

هذا هو مثل الفيلسوف المراحيضى يرجع الى ما قررناه مراراً من انه مترجم ناقل و تنقصه أمانة الترجمة لانه يأبى الا أن يدعى والا أن يتصرف بغباوته فيفسد فى الجهتين ولا تبقى فيه الا الدعوى ويكابر فى هذه الدعوى ويقاتل عليها فلا تبقى فيه الا الوقاحة . إنما يريد الناس من يقول هذا رأيى لا رأى فلان وفلان ،وقلت أنا لا،قال فلان و فلان،وساعات بين مؤلفاتى لا (ساعات بين الكتب ) ! وأنا أفضل من يكتب صفحة واحدة فى اللغة العربية بأسلوب بديع و معان طريفة وخيال سام وشخصية ظاهرة فى كل سطر ، على من يترجم كتابا كاملا من لغة أجنبية وان كان لهذا فضله فى معناه وطبقته ، لان الاول هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ هو الذى يحقق فيها فن ألفاظها وصورها وهو بذلك امتدادها الزمنى وانتقالها

التاريخي وتخلقها مع أهلها انسانية بعد انسانية ، ولا تجديد ولا تطور الا فى هذا التخلق متى جاء من أهله والجديرين به. أما الثانى فله فضل دابة الحمل وفضل عملها الشاق النافع الذى لابد منه . ولكن لاينبغى للعقاد أن يقول للغة أنا أوجدت وأنا فعلت الا إذا جاز للحمار الذى يحمل شيئاً الى بيتك أن يقول لقيم الدار : خذ هذا ماصنعته لكم ؟ . وما عليك ياحمار لو استكملت فضيلتك ، وقلت ماحملت لكم ؟

للمراحيضى رأى فلسفي فى تعريف الجمال — وناهيك من ذوق من يقول فى شعره : مرحاضه أفخر أثوابنا . وما الذوق الا أداة الجمال وسبيل فهمه وتصويره كما هو مقرر فيقول العقاد « ان الجمال هو الحرية » ويرى ان هذا ابتكار فات به الفلاسفة ويكاد يقول العقل الانسانى بعد هذا الابتكار لم يبق بينه وبين الالوهية الا وثبتان أو ثلاثة بمثل هذه القوة الجبارة

وانما ذكرنا هذا الرأى لانه يهمنا جداً فى بيان مخافة هذا الرجل وغروره وحماقته ثم هو فى رأى المراحيضى ابتكاره الخاص به وعمود فلسفته مع أنه لو عقل لستره على نفسه ولكن الرجل ضعيف ملكة التوليد فيشتبه له فيشتبه عليه ، ويخيل اليه فيخال ، ويقول ابتكرت وتقول الحقيقة بل أفسدت ، ويقول هذا نبوغى وتقول ألسنة النقد قل هذا سوء فهمك . »

أما ان للعقاد توليداً فى شعره وآرائه مما يقرؤه ويطلع عليه أو يمارسه ويشاهده فهذا صحيح ولو لم يبتله الله بالغرور يفسد عليه تمحيصه وامتحان آرائه لكان يرجى أن تنمو عنده الملكة ويبلغ مبلغاً ، ولكن ماذا تقول فى رجل لسانه من شؤمه ولؤمه لايكون دائما الا امام تفكيره ؟ قال له مرة أديب كبير — امام الاستاذ محرر المقتطف — متحم ثلاثة أشهر ياعقاد عند ما تقرأ فى كتابى الجديد كلمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تقريظى . فرد المغرور : « الشيخ محمد عبده لايعرفك » مع ان الشيخ توفى قبل أن يكون العقاد معروفا وقبل أن يكتب مقالة ، ولم يكن هذا العقاد من ذوى مجلسه أو ذوى جماعته أو من شماعته ، وكتاب الشيخ بخطه فى يد الاديب . ولكن لعن الله الحقد ولعن الله الحماقة.

وماذا تقول فى رجل عقاد مراحيضى رأى سعد باشا زغلول نابغة دنياه ودهره يقرظ كتاب « إعجاز القرآن » فيقول يصف بلاغته وبيانه : كأنه تنزيل من التنزيل وينشر تقريظ سعد فى كل الصحف وهو حى بعد فى سنة ١٩٢٧ فيجن العقاد — أمام محرر المقتطف أيضا — ويتهم صاحب الكتاب فى وجهه بانه زور .. تقريظ سعد ؟

مع أن كتاب سعد باشا فى يد صاحب الاعجاز ومع أن كتاب الأعجاز هذا أمر جلالة مولانا الملك بطبعه على نفقته الخاصة ونشر كتاب سعد فى صدر هذه الطبعة الملكية

اللهم أنك تخلق مانفهمه ومالانفهمه وقد يكون العقاد بقة انسانية ونحن لاندرى.

يرى القارىء من هذين المثلين ومما قدمناه فى السفود الثالث من زعم العقاد أمام محرر التقطف أيضاً — انه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا — أن هذا العقاد كالآلة البخارية الخربة من بعض جهاتها ، تعمل ولكنها تفسد ، وتدور ليقول الناس ليتها لاتدور ، وهى بخارية من آخر طراز ، ولكنها حمقاء كذلك من آخر طراز

بتلك الحماقة المغرورة أضعفت ملكة التوليد عند المراحيضى وكل النبوغ هو فى هذه الملكة واستحكامها . فلن يفلح العقاد من بعدها ولن يكون الا كما كان ولن يخرج الا الآراء المضحكة من مثل قوله ان الجمال هو الحرية .

كيف جاء بهذا الرأى أعنى كيف كان توليده اياه. أنه رأى الفيلسوف شوبنهور الألمانى (١) يقسم الدنيا الى فكرة وارادة ويقول أن الدنيا فى « الفكرة » هى الدنيا المكنونة قبل أن تظهر فى حيز الاسباب والقوانين وعلاقات الأشياء بعضها ببعض. وان « الارادة » هى هذه الدنيا التى تكابد أوصابها وقوانينها ولاتذوق السرور فيها الا لسبب من الأسباب التى تدور عليها أغراضنا وشهواتنا . ولما كان سرورنا (بالجمال) سروراً بلا سبب ولا منفعة (أكذلك هو ؟) فهو من قبيل الفكرة المجردة وننظر اليها كما هى فى عالمها المنزه عن الأسباب والعلاقات . (اذا نظرت أنت اليها فكيف يكون لها حينئذ عالم منزه عن الأسباب والعلاقات وأين يوجد هذا العالم وكيف تعرفه أنت ) قال : والسر فى وضوح احساسات الشباب (وجمالها) الكمالى هو كما يقول شوبنهور اننا فى عهد الصغر نرى فكرة النوع وراء صورة الفرد اذ تلوح لنا لأول مرة لأننا نتمثل فى كل فرد نموذجا جديداً لم تسبق لنا معرفة به ولم تظهر لنا أية دلالة اخرى عليه. فالشجرة الأولى التى نراها تمثل لنا فكرة الشجر كله أى نموذج هذا النوع الجديد الذى لا عهد لنا به قبل ذاك ولا تقتصر على تمثيل شجرة واحدة زائلة دو شأنها عند من توارد عليهم مناظر الأشجار الكثيرة . ولهذا نرى فيها الفكرة الافلاطونية التى هى فى الحقيقة جوهر (الجمال) .

هذا ضبط العقاد فى تلخيصه رأى شوبنهور و بعضه ينقض بعضه الا عند مثل هذا الرجل الذى لايكاد يميز بل يأخذ بأول ما يبدو له . فان ما نراه فى عهد الصغر حين

(١) هذا التلخيص من نقل العقاد نفسه

ترى الشجرة الاولى التى لاعهد لنا بجنسها ولا بنوعها قبل ذلك مما يجعل هذه الشجرة الواحدة هى الشجر كله - ان هذه حالة لن تكون هى ذاتها الا الحالة القائمة بنفس الشاب فتكون « السر فى وضوح احساسات الشباب وجمالها الكمالى »

ثم ترى المراحيضى يقول لك « الفرد والنوع » والصواب الفرد والجنس لأن الشجرة الاولى التى يراها الطفل ان كانت شجرة تفاح مثلا فهى لاتمثل لى نوع اشجار التفاح وحده بل جنس الشجر على أنواعه . ولسنا بصدد تصحيح رأس شوبنهوور فقد يكون العقاد نسخه بسوء فهمه أو تعمد. الاقتضاب كيلا يظهر موضع توليده أو فساد توليده ، بيد أن العقاد يقول بعد ذلك : اين تتفق فى هذا الرأى واين تفترق ( ما شاء الله اين يتفق العقاد وشوبنهور واين يفترقان . . . ؟ ) واين يتساوى القول بان الجمال « فكرة » والقول بان الجمال « حرية » ؟ يتساوى حين نذكر « ان الفكرة » فى راس شوبنهور لابد ان تكون بعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ومن ثم لابد ان تكون مطلقة - من أسر الاسباب والضرورات (فمكرة من تكون هذه الفكرة البعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ؟ »

ثم اين يتعارض الفيلسوفان العظيمان : المراحيضى ! ! ! وشوبنهور ؟ فيقول العقاد : يتعارضان حين نذكر ان الحرية لاتكون بغير ارادة وان شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم « الارادة المسببه » اى عالم « الفكرة المجردة »

وما الذى يرجح رأى فيلوفنا ! ! ! المراحيضى ! ! ! بأن الجمال هو الحرية، على رأى شوبنهور بأن الجمال « فكرة » ؟ يقول العقاد : يرجح ان الجمال يتفاوت فى نفوسنا ويتفاضل فى مقاييس افكارنا - ولو كان المعول على ادراك « الفكرة » وحدها فى تقدير الجمال لوجب ان تكون الأشياء كلها جميلة على حد سواء .

ونوضح ذلك فنقول : لوكانت الشجرة جميلة لانها فكرة « فقط » لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة ( افهموا ياناس ) ولا صح لنا ان نزعم ان الناس اجمل من الاشجار ( برافو مراحيضى ) . ولكننا نعلم ان فكرة الانسان غير فكرة الشجرة ( تمام تمام ! ! ! ) . وان الفكرتين تتفاضلان فى تقدير الجمال ) . صحيح لأن الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها ! ! ! ) . ولابد لمن يكون تفاضلهما بمزية أخرى ، فماهي تلك المزية ؟

قال المراحيضى : هى الحرية : فالانسان اوفر من الشجرة نصيبا من الحرية ( برافو برافو ! ! ! ) ولذلك هو اجمل منها ( ياسلام ياسلام على هذا المنطق فى رأى من هو أجمل منها ؟ فى رأى الجبل بالطبع لانه لابد من حكم بينهما يحكم أيهما الاجمل .

والا فما الذى يمنع الشجرة ان تحكم لنفسها كما حكم الانسان لنفسه ؟ . ) .

قال المراحيضى الفسيلوف ! « وكذلك تتفاوت « الفكرات » فلا يغنينا القول بان الجمال فكرة عن القول بأن الحرية هى المعنى الجميل فى الفكرة ، أو هى التى تهب الفكرة ما فيها من الجمال (١)

إلى هنا يظهر أن العقاد يفكر ويصحح لشوبنهور . ولكنه سقط بعد ذلك على أم رأسه وأظهر الجملة التى منها سرق . فقال : وقرر شوبنهور أن المادة الصماء لا جمال فيها ولا أنس لديها ، وانها تقبض الصدر وتثقل على الطبع ( كالماس والزمرد والذهب مثلا فهى مادة صماء ولا جمال فيها وتقبض الصدر وتثقل على الطبع ! ! )

قال : فلم كانت كذلك ؟ ألأنها عارية عن الفكرة ؟ كلا فما من شىء محسوس إلا له فكرة مكنونة فى رأى شوبنهور . ولكنها تقبض الصدر وتثقل على الطبع لأنها تمثل الركود والجمود أو تمثل الجزء من الارادة والحرمان من ( الحرية ) . وقد ذكر شوبنهور نفسه بعض هذه العلة وقال : « ان الحزن الذى تبعثه « المادة غير العضوية » فى نفوسنا آت من أن هذه المادة تطيع قانون « الجذب » طاعة تامة فى حيث تتجه الأشياء . أما النبات فان منظره يشرح صدرنا ويسرنا سروراً كبيراً ( كلما ترك وشأنه ) . وسبب ذلك أن قانون الجذب يبدو لنا كالمعطل فى عالم النبات لأنه يتجه إلى خلاف الجهة التى يجذبه اليها ذلك القانون . وهنا تتخذ ظاهرة الحياة لنفسها طبقة جديدة عالية بين طبقات الموجودات ننتمى نحن اليها وتتصل هى بنا ويقوم عليها عنصر وجودنا فترتاح اليها قلوبنا . الخ

قال العقاد : وإلى هنا يسبق الى ظنك أن شوبنهور سيخلص من هذا القول الى نتيجته القريبة فيقول إن الأشياء تحزننا بما فيها من معانى الخضوع ! وتفرحنا بمافيها من معانى الحرية ! أو أنها تحزننا كلما قل نصيبها من الارادة وتفرحنا كلما عظم نصيبها من هذه الصفة . ولكنه يدع هذه النتيجة القريبة إلى نتيجة أخرى لا تؤدى اليها ( نريد لا يؤدى اليها كلامه السابق )

معنى كل هذا أن العقاد استخرج النتيجة الغريبة وقال : ان الجمال هو الحرية وأما شوبنهور صاحب البحث والرأى فمغفل جاهل لأنه وضع البحث كله ولكنه استخرج نتيجة أخرى كأن الذى وضع النحو وقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف فعل ذلك وهو لا يعرف ماهو الاسم ولا ماهو الفعل !

---

(١) كل مانقلناه هو من الصفحات ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من كتاب مراجعات للعقاد

أفى الارض معتوه واحد يصدق ان شو بنهور يعمى عن النتيجة القريبة لكلامه هو ،أم الأعمى هو العقاد الذى لم يفهم ما يريده شو بنهور من أول كلامه الى آخره . فان محصل كلام هذا الفيلسوف (١) ان ماتراه بسبب من ارادتك وغرضك وشهواتك فجماله فيك أنت لافيه ، لانه صورة الاستجابة الى مافيك ، فلو لم يكن فيك أنت هذا الغرض لم يكن فيه هو ماخيل لك من الجمال . فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لاجمال فيه ، وانما أنت صبغته وأنت أوقعته ذلك الموقع من نفسك . فالنتيجة من ذلك ، ان الاشياء تحزننا ( أى لانراها جميلة ) كلما ابتعدت عن عالم الفكرة

---

(١) نريد من العقاد وأمثاله اذا ترجموا ان يقولوا ترجمنا وأن يأتوا بالكلام المنقول على نصه ليفهم منه كل قارىء على مايفتح له . ولكن العقاد على انه مترجم يأبى أن يكون مترجماً فيأخذ مايريد أن يأخذ ويدع مايستحسن أن يدع ، لامن حكمة أو فائدة بل على ماتتجه اليه خطته فى السرقة والاغارة على الناس وانتحال آرائهم وأفكارهم وكل كتبه مشحونة بمثل هذا فأنت تجد فيها كل كاتب أو شاعر أو فيلسوف انجليزى ومن كل ما نقل الى الانجليزية على انه للعقاد لا لأصحابه ، فان جاء منه شيء معزواً لصاحبه جاء خليطا كما رأيت فى كلام شوبنهور تستطيع ان تنقضه وترده بأيسر التمحيص لأنه على قدر فهم العقاد لاعلى ما وضعه قائله اوكاتبه ، وليس هذا وحده بل مع فهم العقاد وشعوذته على القراء وسوء قصده من الغرور والوقاحة . فالامر كما ترى أشبه برقيع يدعى النبوة والوحى ويعمل على انه نبى ويكابر فى انه غير نبى ، فكل ماجاء به عاليا عاليا لم يجىء بطبيعته وطبيعة عمله الا سافلا سافلا .

ولأجل هذا فنحن لانثق ان ترجمة العقاد عن شوبنهور هى نص معانى شوبنهور على أغراضها وسياقها فلا تتعرض لهذه الآراء ولانقول فى تفسيرها وانما نذهب الى مانظنه الاصل فى غرض الفيلسوف مجملا غير مفصل وخاصا بالجمال وحده دون ماتفرع من هذا الأصل .

والرأى الفلسفى الصحيح ان الحواس الانسانية زائفة لاتستطيع ان تحكم على الأشياء فى ذواتها وحقائقها ، ولا ان تتبين ماهى فى كنه انفسها . فليس فينا الا نسبة هذه الاشياء الينا كمادة تلائم مادة اوتقاربها او تداخلها اوتضادها .

اما فكرة الشيء فى ذات نفسه كماهو فى كنهه ، فانا نحزن ونكتئب لمنظر المادة الجامدة اذ لاتقاومه الجذب وفسر لمنظر النبات اذ يقاومه ولا ينقاد الا على الخلاف ، فهذا كله تخليط فى تخليط ، وعاقبة أكلة ثقيلة من القرنبيط . . . . .

واقتربت من عالم الارادة ، وانها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة » (١)

وهذا الرأى هو الرأى الصحيح فى معنى الجمال وبه يؤول اختلاف الناس فى تقدير جمال الاشياء ، لان الجمال فى أهوائهم وأذواقهم ومعانى نظرهم . وقد روى الجاحظ ان رجلا تزوج امرأة لم تكن رائحة أتتن من رائحة جلدها، فلما كان زفافها دلكت جسمها بالمرتك لتزيل هذه الرائحة الخبيثة وبقيت تفعل ذلك فى سر من الرجل ثم غفلت يوما فاطلع على شأنها وأصابت هذه الرائحة منه هوى وجدبه نشاطا و.. و فنهاها أن تغشه من بعد لانها لاتجمل فى هواه الا بهذه الرائحة . فكانت إذا سألته حاجة ومنعها ، قالت والله لاتمر تكن ! فيبادر الى قضاء حاجتها خيفة أن تطيب ريح جسمها

هذا هو عالم « الارادة المسببة » فى رأى شوبنهور فأى جمال فى صاحبة تلك الريح الخبيثة ، وهل يصطلح الناس فى عالم « الفكرة » على جمال تلك الريح كما رآها ذلك الذى ابتعد عن عالم الفكرة وارتطم فى ارادته ؟

على مثل تلك الطريقة من الغباوة وسوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة تجد كل مايولده العقاد أو أكثره ثم يزين له لؤم نفسه أنه هو وحده الذى يهدى الى أسرار الاشياء ويلهم حقائق المعانى فيزدرى الناس ويندرى عليهم بالطعن والتسفيه ويقول فيهم مالو عقل أو أنصف لما قاله الا فى نفسه .

ولو تأملت ما كشفناه من سرقاته الشعرية لرأيت ان تلك هى قاعدته فى التوليد فلن يأتى بمعنى واحد أحسن من أصله وهذا حسبك فى الدلالة على قيمة الرجل وبيان منزلته . ولو كفى الوقاحة وحدها لامكن أن يفلح لان كل رذائله فروع من هذا الاصل ترجع اليه واحدة واحدة ولكن كذا خلق ولن يغير الامس وقد مضى ، ولن يرجع له أب آخر وأم أخرى وحارات وأزقة . . .

ولا بأس من هذا الخبر . استفتى المراحيضى مرة رجل من العراق فى أمر القديم والجديد ومناظرة كانت بين فلان وفلان . فخلط العقاد على طريقته ولكن الذى راعنا مما كتب أنه قال ان كتاب العرب لم يجيدوا فى المعانى المطولة « بل كانوا إذا طرقوا هذه الموضوعات أسفوا وضعفوا واجتنبوا الاساليب الادبية المنمقة وأخذوا فى أسلوب سهل دارج لايختلف عن اسلوب الصحف اليومية عندنا ( يعنى لايختلف

---

(١) هذه النتيجة هى التى استخرجها شوبنهور قبل العقاد وليس بعجيب أن يراها خطأ لانه لم يفهم ما بنيت عليه كما رأيت .

عن اسلوب العقاد ؟ ؟ ؟ . ) فى شىء كثير . قال : « ومن شك فى ذلك فليرنى صفحة واحدة من مصنف عربى فى مبحث من المباحث الاستقرائية مكتوبة بلغة تضارع لغة الادباء فى الرسائل والمقامات ؟؟ أو يصح ان يقال انها لغة أدبية ذات طريقة محض عربية (كذا) قال : ولست اكلف المخالفين لرأيى أن يجيئونى بصحيفة عالية البلاغة من كتاب فلسفى أو منطقى . فهذا قل أن يتيسر فى لغة من اللغات ولكنى أكلفهم أن يجيئونى بصفحة واحدة ( عجايب ) بليغة من موضوع فى الموضوعات الخطابية المرتجلة التى تكلم الجاهليون فى مثلها على البداهة . انهم لا يستطيعون » انتهى بحروفه

انظروا أيها الناس اهذا كلام رجل يكتب بعقل أم بوقاحة . وهل اطلع هذا المراحيضى على كل ما كتبه العرب ؟ وان كان أطلع على كل كتبهم فهل قراها كلها حتى أيقن أنها خالية « من صفحة واحدة » تكون بليغة فى موضوع فلسفى أو منطقى أو علمى ؟ وهل انتهى الينا كل ما الفه كتاب العرب أو كل ما ترجموه ليقرأه المراحيضى ويجزم بانه ليس فيه صفحة واحدة من ذلك .

وكيف لعمرك يكتب مثل الجاحظ اذا ترجم أو كتب فى موضوع علمى ؟ أينزل عن طريقته وينسى اللغة كلها ليجىء بكلام بارد ككلام العقاد والصحف اليومية ؟

على أن أديبا قابل العقاد بعد هذه المقالة وقال له ان للجاحظ رسالة كاملة تملأ نحو مائة صفحة فى مثل هذه الموضوع وهى من أبلغ ما كتبه وكلها عالية الطبقة فى اسمى مابلغ اليه الجاحظ بقلمه وعبارته وأسلوبه (١) . أتدرى أيها القارىء بماذا أجاب الرقيع ؟ لم يقل للاديب أطلعنى عليها ، ثم أقر أنه لم يطلع عليها ، ثم قال . ( إيه ياترى . ؟ ) قال إنها غير مرتبة ؟؟ ؟؟

هذا والله جوابه بحروفه . رسالة لم يقرأها ولم يعرفها ومع ذلك يقول انها غير مرتبة . وسبحان الله ولا اله الا الله

على ان هذا يؤخذ دليلا على وقاحة هذا الكاتب وعته ومكابرته وان لسانه دائما يستمد من طباعه قبل أن يستمد من عقله فيسبق بما فى قلبه أو فى نفسه قبل أن يجىء بما فى نظره أو فى عقله — يؤخذ أيضا من الأدلة على جهل العقاد بالبلاغة وأساليبها وكيف تكون وكيف تنقاد ، وان رجلا من بلغاء الناس كعبد الحميد أو ابن المقفع أو سهل بن هارون أو الجاحظ او من فى طبقتهم لو هو تناول أعسر المواضيع العلمية

---

(١) هى رسالة « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » مبين فيها حكمة الخالق فى انواع خلقه ويرد على ماانكره المعطلة من معانى الاشياء واسبابها الخ الخ

لصبغها بأسلوبه وأنزل الكلام فيها على طريقته وأخرج النغم الانشائى حتى من الحجر ومن التراب ، لان الاسلوب انما هو صورة مزاجه اللغوى ، فان لم يجد له المعانى التي يظنها العقاد خاصة بالمواضيع الأدبية أو الخطابية وجد له اللفظ ووجد له النسق . ومتى وفق كاتب فى الفاظه ونسق الفاظه ، فقد استقامت له الطريقة الادبية وجاء اسلوبه فى الطبقة العالية من الكتابة . واكثر كلام العرب يخرج على هذا الوجه فتراه بليغا فى أدائه رصينا فى الفاظه متينا فى عبارته ولا طائل من المعنى وراء ذلك .

غير ان العقاد وأشباهه من سوقة الكتاب وعوام المتعلمين انما يدافعون بمثل ذلك القول عن جهلهم وعجزهم وانحطاط اساليبهم كأنهم يقولون انما ابتلينا بالضعف والغثاثة والركاكة من جهة أننا نكتب فى المعانى العلمية والاجتماعية والاستقرائية والهباية ؟؟؟ ولو قد كان العرب كتبوا فى مثل هذا لكان كلهم عقادا شقادا ؟؟؟ (١)

أنا أفتح الآن الورقة الأولى من كتاب الجاحظ فاذا هو يقول فى حكمة زرقة السماء : فكر فى لون هذه السماء وما فيها من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للابصار وتقوية بها حتى ان من صفات الاطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر الى الخضرة ماقرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى إجانة خضراء مملوءة ماء . فانظر كيف جعل هذا الاديم أديم السماء بهذا اللون الأخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة عليه فلا يتكى فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بعد التفكر والتجارب يوجد مفروغا منه فى الخلقة . . .

فكر فى طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون فى حوائجهم ومعايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم لذة النور وروحه . فالأرب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب فيه . ولكن تأمل المنفعة فى غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضمهم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كالذى تصف كتب الطب من ذلك . ثم كان الحرص سيحملهم على مداومة العمل ومطاولته الى ما تعظم نكايته فى أبدانهم ، فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لما هدؤا ولا قروا حرصا على الكسب والجمع ، ثم كانت الارض ستحمى

---

(١) شقاد يعنى عقاد على حد قول العرب شيطان ليطان

بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت بتدبير الله تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج رفع لأهل البيت مليا ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا فصار الظلمة والنور على تضادهما متعاونين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فى ذلك من المصلحة ، ففى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر والنبات فتتولد فيه مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية وفى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد . وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الأرض فتهيأ البناء والاعتمال . وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لو تقصى ذكرها طال الكلام فيها . . .

والكتاب كله مع هذا النسق ويمثل هذه العبارة . وهذا الاسلوب وقد يعلو فيه حتى يفوت أسلوب الرسائل وانما يمكنه من ذلك مزاجه اللغوى وحسن هذه اللغة فى نفسه واحاطته بمفرداتها فى كل باب وكل معنى فما يعجزه قبيل من الكلام ولا فن من القول فى منطق أو فلسفة أو اجتماع وما داخلها نوعا من المداخلة أو أشبهها وجها من الشبه . وانما الجاهل الغبى الركيك الذى يحتسب اللغة لغتين فى القلم البليغ هو العقاد المراحيضى ، لانه لا يحسن شيئاً من كل ذلك ولم يطلع ولم يقرأ لمن احسنوه ويأبى أن يقر فى حيزه وحيز أمثاله فيتطاول بعنق الزرافة ويذهب يزعم ويخلق من أكاذيبه ومزاعمه ولا يخجل أن يقول هات صفحة واحدة . نشدتكم الله أيها القراء إذا لم يكن هذا هو الجهل المركب فما هو الجهل المركب ؟

* * *

ونعود الآن إلى توليد العقاد وسوء ملكته فى ذلك وكيف يصنع أقبح الصنع مما يدل على ضعف وبلادة وعامية فى الطبع واذا فسد توليده ونزل فى معانيه فما بقى فى الرجل الا اللص ، وهذا ما نقول به ونقرره ولا نظن أحداً ممن يقرؤن « السفود » يكابر فيه فلقد غسلنا وجه هذه العجوز . . وانتزعنا ( طقم الاسنان ) من فمها وقلنا لوجهها انطق الآن يا . . . . . .

قال صاحب مرحاضه أو المراحيضى فى صفحة ١٤٦ من ديوانه أو مزبلته !! يتغزل

صـــفه فى كل كساء صفـــه فى كل الجهات
هو فى الروضـــة إذ يمشى أحب الزهرات
وهو فى القفر رياض من هوى لامن نبات
تم والله فيالـ ت به بعض الهنات
تم حتى أتعب العيـ ن بفرط الحسنات

هذا من أحسن شعر المراحيضى ، ولكن لاتنخدع وفتش وانظر كيف يجىء باسخف توليد فى البيت الذى هو أحسنها أى فى البيت الاخير .

نقول : « صفه فى كساء » حتى فى كساء شحاذ قذر ؟ حتى فى كفن ميت ؟ حتى فى ثوب مصاب بالجذام ؟ أيا حبيب المراحيضى ! لاتقابله إلا وفى يدك كرباج سودانى .

« صفه فى كل الجهات » حتى فى القبر ؟ أياحبيب المراحيضى ، الكرباج الكرباج . . والبيت الثانى من قول القائل :

تظنه الروضة إما مشى فى أرضها أجمل أزهارها

وقلب ابن المهدى هذا المعنى فجاء به طريفا إذ جعل الحبيبة تغنى عن الروضة كلها فقال :

خلتها فى المعصفرات القوانى (١) وردة من شـــقائق النعمان
أنت تفاحتى وفيك مع القنا ح رمانتان فى غصن بان
وإذا كنت لى وفيك الذى أهـ ـوى فما حاجتى إلى النيسان ؟

وأثقل شعر على النفس جعل المراحيضى حبيبه ( فى القفر ) رياضا من هوى لا من نبات !!! أهذا مما يجعل للحبيب قيمة فى القفر ولو قيمة بصقة ماء . ؟ . ولو قيمة عود نبات يابس ؟ أفليست بصقة ماء عند ( القفر ) أفضل الف مرة من روضة هوى فى خيال معتوه ؟ . . . . الكرباج ياحبيب المراحيضى .

وتشبيه الحبيب بالروضة كثير ، ولكن لم يقل أحد روضة هوى فى قفر غير هذا البارد الفاسد الخيال .

ويقول ( تم والله فيالـ ت به بعض الهنات ) . . الكرباج الكرباج . . هل فى

---

(١) القوانى أى الحمر

الدنيا حبيب يقبل من محبه أن يقول له ياليت بك العيوب ؟ وفسر الهنات بالعيوب الطفيفة فما هى العيوب الطفيفة التى يتمناها هذا الاحمق فى حبيبه وخلقته وجماله ؟ ولكن لعن الله التوليد اللئيم و اللصوصية الوقحة . فأنظر كيف صنع الشاعر حين قال :

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

فهذا هو الاحمق العقاد لان الشاعر يخشى كمال حبيبه من اصابة العين فلا يتمنى أن يبتليه الله بعيب لان هذا التمنى لايكون من قلب محب و لايجيء إلا من كبد غليظ بل يقول « ما كان أحوجه » و كان هنا فى منتهى الرقة والظرف كما ترى وهي تكاد تذوب حنانا وعاطفة

و يقول المراحيضى : تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

قل لحبيبتك : أتعبت عينى ، ثقلت على عينى ، عينى ( بتوجعني ) من فرط حسنك ! ! ! الكرباج الكرباج ياحبيب المراحيضى ! ان لم تكن أيضامغفلا رقيعا غليظ الحس

ان كل ما أتعب ترغب العين عنه وترى راحتها فى إغفاله وما يكون مثل هذا فى وصف الجمال المعشوق ولم يقله الا العقاد وحده فى بلادة وغباوة وجفاء بربرى همجي . وليأتنا من استطاع ببيت واحد لشاعر سليم الذوق يذكر فيه « تعب عينه » من فرط حسن محبوبه ونحن نكسر هذا القلم ونسلم بكل مايدعى .

انظر كيف صنع ابن الرومى فى قوله

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

هكذا هكذا . ثم يعبر فى شعر آخر عن معنى تمام الحسن تعبيراً فى غاية الابداع يثبت المعنى الذى أراده المراحيضى فى نفسه و ينفي مع ذلك تعب العين كأن فى العين من أجل الحبيبة طبيعة غير طبيعتها التى خلقت عليها فيقول

أهى شيء لاتسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد

هذا والله هو المرقص المطرب ولو قاله أكبر شاعر فى أكبر أمة لزاد فى أدبها. وانظر مع كل مارأيت كيف عبر الشاعر العربى الذى لم يدرس ولم يتعلم ولم يجمع كل ديوان شعر وكتاب أدب فى الانجليزية ولم يكن جبار ذهن ! ، كيف عبر عن خبرته فى تمام حسن حبيبته وفرط جمالها فى رأى نفسه وكيف أبان عن المعنى الفلسفي الدقيق الذى انتهت اليه الفلسفة الحديثة فى وهم الجمال . وأنه فى الناظر لافى المنظور والشاعر هو بشر بن عقبة العدوى فى قوله .

فوالله ما أدري أأنت كما أرى  أم العين مزهو اليها حبيبها

بديع بديع ، حلو حلو ، شعر كالحبيبة وان كان مولدا من قول امرىء القيس

أهابك إجلالا وما بك قدرة  على ولكن ملء عين حبيبها

ولكن ليس هذا كله من غرضنا بل غرضنا أن نبين كيف تهيأ للعقاد المعنى (اتعب العين) وكيف ولده لأن ذلك دليل قاطع على أن شعره من الشعر كالمرحاض من القصر .. وانه ليس هناك ولايقال له الا ماقال الأول

فعد عن الكتابة لست منها  ولو لطخت ثوبك بالمداد

وكذلك يقال له لست من الشعراء ولو بال فى أفخر أثوابك عزوز لتقول فيه مرحاضه أفخر أثوابنا ...

لابن الرومى فى هذا المعنى بيتان ولا بد ولا بد أن يكون المراحيضى سرق من أحدهما : الأول قوله وصف المهرجان :

مهرجان كأنما صورته  كيف شاءت مصورات الأمانى (١)

يمكن العين لحظة ثم ينهى  طرفها عن ادامة اللحظان

ومعناه أن هذا المهرجان من كثرة أضوائه وزينته لاتستطيع الأعين أن تحدق فيه طويلا . فنقل ذلك الى المعنى الشعرى وجعل له سلطانا ينهى به العين فتغض. فان كان العقاد سرق من هذا فقد فهم أن العين تتعب وأنه اذا جعل مكان المهرجان حبيبته وجعل حسنه هو الذى يتعب العين الخفية السرقة وصار المعنى عقاديا شتاديا ، فحبيب العقاد هنا خمسون ملبة من مصابيح علاء الدين Alladine التى تضاء بطغط الغاز ومائة مصباح كهربائى قوة مائة شمعة ، وبعبارة مختصرة ياحبيب المراحيضى أنت دكان فراش .. ، آه لو كان معك الكرباج السودانى من قبل .

والبيت الثانى لابن الرومى قوله.

لايسىء الا وفيه أحسنه  فالعين منه اليه تنتقل

وهو تكرار لقوله (وفيك أحسن ماتسمو النفوس له (البيت) ونحن نرجح أن العقاد سرق من هنا لأن هذا الصنيع هو الأشبه بغباوته وفساد توليده ، فقد تصور هكذا : اذا كان لاشىء الا وفيه أحسنه ، فقد تم ، واذا كانت العين تنتقل منه اليه و إليه منه فهذا لاينتهى ولا يمكن أن ينتهى الا اذا تعبت العين والانتقال الذى لايزال من

---

(١) فى الديوان مخيرات وهو خطأ

هنا الى هناك ومن هناك الى هنا انتقال متعب فيخرج من القضيتين أن تمام الحسن يتعب العين فيكون نظم هذا الكلام هكذا :

ثم حتى أتعب العين . . .

وهكذا يكون شعر اللصوص الأغنياء ومثل هذا الهراء ينخدع فيهم المغفلون و يسمون مثل هذا المراحيض جبار ذهن . . . ويغرونه بنفسه فيظن و يظنون أن الأدباء يعبؤون به و يمد له الظن فيحسبهم يخشونه ثم ينمى له وهمه ولؤمه . فاذا هو يثورهم وينتقصهم ويلقاهم بعامية أصله وسفاهة دمه وانه لأهون عليهم من سحق نملة لو عركوه وأقذر من شنق ذبابة لو تركوه . . . .

# اكتشاف كيماوى

## بواسطة النحل

## كيلو من السكر ثمنه اربعة آلاف جنيه

كان الكيماوى الامريكى الذائع الصيت البروفسير هيدسن يشتغل مع زميله النمساوى الدكتور جينوباسكى فاكتشفا نوعا جديدا من السكر بطريق الصدفة الغريبة . فقد طلب منهما مزارع كبير من مزارعى ترانسلفانيا أن يحللا قرصا من عسل لشكل غير مألوف . فقررا بعد الفحص الميكروسكوبى أنه مأخوذ من عصارة الصنوبر وتوصلا بعد البحث الدقيق الى معرفة حقيقة الواقع . فقد انحبس المطر فى هاتيك الاصقاع واشتد الغيظ فيبست الزهور التى كان النحل يجنى منها عسله . ولما لم يجد أمامه ما يقوم بحاجته دفعته غريزته التى لا تخطىء إلى شجر الصنوبر الكثير فى تلك النواحى فوجد فى ثمار المادة اللازمة لتكوين عسله وملء خلاياه وقد حول الكيماويان قرص العسل الى سكر مكرر فحصلا منه على كيلو جرام اطلق عليه جديدا وهو تيكانوز .

ولما كانت هذه السكرية من السكر هى الوحيدة التى استخرجت من الصنوبر فقد عدها الاميركيون تحفة نادرة وقوموها بعشرين الف دولار أى بأربعة آلاف جنيه مصرى